ظاهرة عمالة الأطفال في الخرطوم

د. نهى عبد الله خيرت

دكتوراه في الأنثروبولوجيا

معهد البحوث والدراسات الإفريقية

أقسى شيءٍ في العالم هو رؤية طفلٍ قد غطّى وجهه الضغوط والإحباط والتمرد والاستياء من المجتمع وكل من حوله، السبب الرئيس في هذه الحالة هو الوصول إلى سوق العمل في وقتٍ مبكرٍ من الوقت المفترض.

ظاهرة عمالة الأطفال منتشرة في جميع أنحاء العالم ولا تقتصر على المجتمعات النامية أو الفقيرة وما يرتبط بها من آثارٍ على التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ومع الانتشار السريع لهذه الظاهرة زادت المخاوف الدولية من وجودها وانتشارها ومحاولة القضاء عليها بطرقٍ مختلفة.

تحتفل المنظمات والحكومات الدولية في ١١ يونيو من كل عام باليوم العالمي لمكافحة ظاهرة "عمالة الأطفال".

هناك العديد من الدراسات التي أُجريت لتوضيح ظاهرة عمالة الأطفال في دول العالم ككل، سواء أكانت غربية أم عربية، ومن بين الدراسات التي أُجريت في القارة الآسيوية، دراسة حول ظاهرة عمالة الأطفال في الهند، حيث أظهرت الدراسة أن غالبية الأطفال العاملين في الهند ينتمون إلى الطبقات الأكثر فقرًا، ويرجع ذلك إلى طبيعة تركيب المجتمع الهندي، وفي أوائل العشرينيات وُجِدَ أن عمالة الأطفال مناسبة في مجالات التصدير، حيث أوضحت الدراسة أن هناك أطفالاً تقل أعمارهم عن خمس سنواتٍ يعملون من السادسة صباحًا وحتى السابعة مساءً ويتقاضون أقل من ٢٠ سنتًا.

ما العمل؟

في البداية، يجب أن نشير إلى أن مصطلح "عمالة الأطفال" لا يشمل كل الأعمال التي يمارسها الأطفال دون سن الثامنة عشرة، فهناك العديد من المهن والأعمال التي يمارسها الأطفال بصورةٍ شرعية سواء كانت تلك الأعمال مدفوعة الأجر أو غير مدفوعة الأجر، وتتوافق هذه الأعمال غالبًا مع عمر الأطفال ومستوى نموهم، كما أنها تعمل على اكتسابهم العديد من المهارات، إلى جانب تحملهم أيضًا المسئولية، وبالتالى تعمل على زيادة دخل أسرهم، ومن هذه الأعمال: العمل الذي يقوم به الأطفال بعد عودتهم من المدرسة، أو

بعد الانتهاء من الواجبات المدرسية ولا يدخل في نطاق عمل الأطفال، وهذا العمل هو المساعدة في الأعمال المنزلية / مساعدة الآباء والأمهات في الحقول أو أي مهامٍ خفيفة.

وهناك أعمال يجب إلغاؤها وفقًا لمعايير منظمة العمل الدولية (ILO)، وهي كالتالي:

١- الأعمال التي يمارسها الأطفال دون سن الحد الأدنى لمثل هذا العمل، مما سيؤثر على نمو الأطفال ويوقف استكمال تعليمهم.

٢ - الأعمال التي من شأنها أن تؤثر على سلامة الطفل جسديًّا وعقليًّا ونفسيًّا ومعنويًّا؛ إما بسبب طبيعتها، أو بسبب الظروف التي يتم خلالها هذه الأعمال. بمعنى آخر: الظروف المحيطة بهذا النوع من العمل، وهو ما يُعرَف باسم العمل الخطر.

٣ - أسوأ أشكال عمل الأطفال "العبودية، الاتجار، العمل من أجل مواجهة ديون الأسرة، وكذلك استخدام الأطفال في: الأعمال المسلحة، الدعارة، المواد الإباحية، سباق الجمال"، ربما التهديد الذي تشكّله هذه الأنواع من العمل هو أنها تسلب الأطفال طفولتهم وبراءتهم؛ لأن هذه الفترة مخصصة لنمو وتعليم الأطفال ورفاهيتهم، بالإضافة إلى التأثير السلبي على صحتهم وعلى نفسيتهم وتطورهم، وربما أخطر عمل هو الذي يتسبب في تغيير أخلاقيات هؤلاء الأطفال.

ما أسوأ أشكال عمل الأطفال؟

تعرف منظمة العمل الدولية (ILO) أسوأ أشكال عمل الأطفال على أنها أكثر الأعمال تدميرًا، وهي تهدف إلى إلحاق الضرر وترتبط بصحة الأطفال؛ لأنهم يمارسونها دون سن الثامنة عشرة، وتختلف أضرار العمل بالطفل من خلال المهنة التي يمارسها بنفسه، أو من خلال الأدوات المستخدمة، وتُعد مخاطر الصحة والسلامة على الأطفال دون سن العاشرة أكبر من المخاطر التي يتعرض لها البالغين، حيث إن التعرض لمخاطر معينة تؤثر عليهم سلبًا ولا يمكن حلها أو التغلب عليها مثل: التعرض لاستنشاق الغبار، ومبيدات الآفات، والكيماويات الزراعية، والتعرض للإجهاد جسديًّا، والتي لها آثارها على تشوهات المدى الطويل في الأطراف أو العمود الفقري ولا يمكن علاجها في المستقبل.

قد يمارس الأطفال العمل الخفيف، ولكن قد يشكِّل تهديدًا نتيجة لطول الممارسة، وقلة خبرة الأطفال تجعلهم يقبلون العمل الذي يتم رفضه من قِبل البالغين، وهذا ينطبق على الأدوات المستخدمة، حيث إن الأجهزة والأدوات المستخدمة في عملية التصنيع غير مناسبة للاستخدام من قِبل الأطفال، كما أن هناك مخاطر قد تبدو بسيطة وغير ضارة، ولكنها في

الواقع ضارة (كما هي مكشوفة) لأشعة الشمس لفتراتٍ طويلة أثناء الزراعة، أو أثناء العناية بالماشية، أو التعرض للمواد الكيميائية الزراعية، وما إلى ذلك.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: ما الذي يدفع الآباء لإنزال أطفالهم إلى سوق العمل على الرغم من أن الحقيقة هي أن الأبوين كل اهتمامهما موجه لمصلحة أطفالهم ومستقبلهم؟

إذن السبب وراء إلحاق أطفالهما بسوق العمل هو نتيجة لما يلي:

انخفاض دخل الأسرة:

ركزت معظم الدراسات والمؤسسات ووسائل الإعلام على الآثار السلبية لظاهرة عمالة الأطفال، كما شددت على ضرورة القضاء على هذه الظاهرة بقوة القانون وفرْض عقوبات على أرباب العمل، ولكن كل هذه المحاولات فشلت؛ لأن معظم هذه الحلول التي تحاول حل الظاهرة تكون غير كاملة دون الرجوع إلى جذورها ومحاولة القضاء على الأسباب الجذرية لتفاقم هذه الظاهرة، وقد أثبتت معظم الدراسات والواقع الفعلى أن الأسرة التي تحتاج إلى دعمٍ مالى هي السبب الرئيس لتسرب الأطفال من التعليم، حيث يتم تسجيل هؤلاء الأطفال في سوق العمل لتلبية احتياجات أسرهم، وهذا يعكس الدور الذي تلعبه الأسرة لانخراط أطفالهم في سوق العمل، ولا شك أن عمل الأطفال في سن مبكرة يؤدي إلى انخفاض رأس المال البشري على المدى الطويل، وسيؤدي إلى تباطؤ النمو الاقتصادي والاجتماعي.

العوامل التي تساعد على زيادة معدل عمالة الأطفال:

حددت معظم الأبحاث أن السبب الرئيس لعمل الأطفال هو انخفاض مستوى دخل الأسرة، ولكن هناك عوامل أخرى متضافرة تساعد على هذه الظاهرة، والتي تتداخل وتتفاعل وتلعب نفس الدور الذي يلعبه انخفاض دخل الأسرة، مثل:

أ- التعليم وعمالة الأطفال:

على الرغم من أن عمل الأطفال يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالعوامل الاقتصادية، فإنه يرتبط بعوامل أخرى مثل: العوامل الاقتصادية، وليس أقل أهمية منها، مثل التعليم.

في ظل وجود نظام تعليمي إلزامي ومتميز، نجد أن هذه الظاهرة أقل وضوحًا؛ لأن أنظمة التعليم الجيدة تساعد في إبقاء الأطفال ورفض جميع أنواع الأعمال، والعكس صحيح.

وقد أظهرت الدراسات أن ظاهرة عمالة الأطفال تعمل على التسرب من التعليم وهو السبب الذي يلي انخفاض دخل الأسرة في تزايد ظاهرة عمالة الأطفال، حيث دعت معظم

المنظمات الدولية إلى ضرورة الحدّ من ظاهرة التسرب من التعليم وعمل مشروع يسمى "التكيف الهيكلي"، يهدف إلى الحد من الظاهرة، ولكن واقع الحياة أثبت أن معظم حكومات الدول العربية تسعى إلى الحد من الإنفاق على الجوانب الاجتماعية، مما أدى إلى عدم قدرة الحكومات على توفير أماكن كافية لإيواء هؤلاء الأطفال في المدارس، وكذلك عدم قدرة الأطفال وعائلاتهم على الالتحاق بهذا التعليم بسبب فقرهم، وهذا واضحٌ في معظم البلدان بما في ذلك السودان، وقد أدى إلى انتشار الأمية بين الأحداث، وخاصة النازحين نتيجة للحروب والمجاعات، وانتشار ظاهرة عمالة الأطفال تحت السن القانوني بدلاً من وجودهم في المدارس.

ب- عمالة الأطفال مدفوعة الأجر ويفضلها صاحب العمل:

إذا كان السبب الرئيس وراء عمالة الأطفال هو انخفاض دخل الأسرة، فهناك سبب لا يقل أهمية، وهو أن أصحاب العمل يؤمنون بتشغيل الأطفال لتحقيق منفعةٍ شخصية وأقصى استفادة؛ بسبب ضعف أجور الأطفال مقارنةً بأجور البالغين، وكذلك لأن أجورهم غير خاضعة لقوانين التأمين والمعاشات؛ لعدم بلغوهم السن القانونية للعمل، ويتلقى الأطفال أجورًا متدنية بغض النظر عن ساعات العمل، والتي غالبًا ما تكون أكثر من ساعات العمل القانونية، ومن هنا يتضح لنا أن عمالة الأطفال خطة يديرها أرباب العمل لتقليل تكلفة الإنتاج وبالتالى مضاعفة أرباحهم.

ج- ظاهرة عمالة الأطفال في المجتمعات التي تعاني بالفعل من بطالة البالغين:

أظهرت معظم الدراسات أن المجتمعات التي تهتم بظاهرة عمل الأطفال غالبًا ما تعاني من ظاهرة بطالة البالغين، وكلما زادت معدلات بطالة البالغين، فإن ذلك سيدفع الآباء العاطلين لإلحاق أطفالهم بسوق العمل تحت ضغط الحاجة والعوز وعدم القدرة على تلبية المطالب الأساسية.

لقد استعنتُ بعينة مكوَّنة من (١٤٠) طفلاً؛ لتعبر عن عمالة الأطفال في أماكن ومهن مختلفة مثل: الشوارع، والمصانع، والمواصلات، والأسواق... إلخ، وهذه العينة تم رصدها في الولايات الثلاث للخرطوم الكبري، وهي: الخرطوم، والخرطوم بحري، وأم درمان، وإن كانت العينة قليلة ولا تعكس الظاهرة بصورة شاملة، إلا إنها مجرد وسيلة استدلالٍ للتعرف على شكل الظاهرة، خاصة أن الجهات الرسمية لم تستطع رصْد الظاهرة بصورة كاملة؛ نظرًا لإنكار أصحاب الأعمال، وكذلك الأطفال ذاتهم خوفًا من المساءلة القانونية، وإن كانت

هذه العينة تناولت معظم جوانب حياة الطفل سواء داخل أسرته أو في بيئة عمله... إلخ، وسوف يتم عرض البيانات في شكل جداول وأشكال بيانية، خاصة وأن هذا هو الأسلوب المتبع في معظم الدراسات التي اطلعتُ عليها، وهي تعكس حجم الظاهرة وشكلها من خلال تحليل الجداول، حيث إن ظاهرة عمالة الأطفال تكاد تكون واحدة وأسبابها محددة في كل المجتمعات على حدٍّ سواء، و لكن الاختلاف يكون في تقدم سبب وانحسار آخر.

وسوف تنقسم الجداول إلى ثلاثة أجزاء: **الجزء الأول:** يحوي البيانات الشخصية للطفل (كالنوع، السن... إلخ)، **الجزء الثاني:** يوضح البيانات إلخاصة بأسرة الطفل، أما **الجزء الأخير**، فهو الذي يتعرض للطفل في محيط العمل.

الجدول رقم (١) ما أعمار الأطفال العاملين؟

الفئة العمرية	عدد الأطفال	النسبة المئوية
٥-١١	٣٨	٢٦
١١-١٣	٤٣	٣١
١٣-١٥	٤٧	٣٤
١٥-١٨	١٢	٩
المجموع	**١٤٠**	**%١٠٠**

نجد أن نسبة الأطفال العاملين في الفئة العمرية (٥ : ١٠) بلغت ٢٦% من حجم عينة البحث، بينما نجد أن الأطفال في الفئة العمرية (١١ : ١٣) بلغت ٣١% من عينة البحث، أما الأطفال من (١٣ : ١٥) بلغت ٣٤%، في حين بلغت نسبة الأطفال في الفئة العمرية (١٥ : ١٨) ٩%، أي أن النسبة الكبرى للأطفال العاملين تقع في الشريحة التي تتراوح أعمارها ما بين (٥ : ١٣) سنة.

الجدول رقم (٢) ما نوع الطفل العامل؟

النوع	عدد الأطفال	النسبة المئوية
ذكور	١٠٢	٧٣
إناث	٣٨	٢٧
المجموع	**١٤٠**	**%١٠٠**

بلغ عدد الأطفال الذكور في عينة البحث ٧٣% من إجمالى حجم العينة، في حين بلغ عدد الإناث ٢٧%، ولعل ذلك سببه أن مجتمع الدراسة ما زال تحكمه وتسوده عادات وقيم ترى أن نزول الفتاة لسوق العمل شيءٌ غير مرغوب وغير مستحب، سبب آخر لا يقل أهمية عن سابقه وهو أن البيانات المتعلقة بالفتيات العاملات غير دقيقة؛ وذلك لأنها لا تشمل الفتيات التي تعمل ضمن نطاق أسرتها أو التي تعمل في مجال خدمة المنازل، سبب ثالث هو إنكار الأطفال وأسرهم لانخراط أبنائهم في سوق العمل؛ خشية التعرض للمساءلة أو العقاب.

الجدول رقم (٣) ما الحالة التعليمية؟

الحالة التعليمية	عدد الأطفال	النسبة المئوية
أمي	**٢٩**	**٢١**
خلوة	**٢٨**	**٢٠**
أساسي	**٤٦**	**٣٣**
فني	**٢٠**	**١٤**
ثانوي	**٧**	**٥**
غير مبين	**١٠**	**٧**
المجموع	**١٤٠**	**%١٠٠**

عدد الأطفال الذين لم يتلقوا أي نوعٍ من أنواع التعليم بلغت ٢١%، في حين بلغ عدد الحالات التي التحقت بالخلوة ـ وهو ما يشبه الكُتّاب أو الحضانة ـ ٢٠%، أما عدد الحالات بالتعليم الأساسي فكان ٣٣%، أما عدد مَن التحقوا بالتعليم الفني فبلغوا ١٤ %، وهي الحالات التي التقيتُ بهم في مركز التدريب الموجود بأم درمان.

ولقد لاحظت أن معظم الملتحقين بالمركز يقومون بالعمل في الفترة التي تلي التدريب، ومعظمها مهن هامشية غير مرتبطة بالتدريب الذي يتلقونه، وهم دون الثامنة عشرة، بينما بلغ عدد الحالات التي واصلت تعليمها الثانوي ٥%، والأطفال الذين لم يكملوا أو لم يلتحقوا أساسًا بالتعليم بلغ عدد حالاتهم ١٠٤ حالة، وهذا العدد سوف يكون إجمالى حجم العينة في هذا العنصر أي أن ١٠٤ حالة =١٠٠% ، وأن الأسباب التي ذكرها الأطفال سوف تكون نسبة من هذا العدد، ونجد أن ٥٣% تقريبًا ذكروا أن تكلفة الدراسة هي السبب الرئيس لعدم التحاقهم بالتعليم أو تسربهم منه، في حين ذكر ١٤% أن السبب في

تسربهم هو رغبتهم في إعالة الأسرة، في حين أن هناك ١٩% ذكروا أنهم لايرغبون في التعليم أساسًا، وذكر ١٤% أنهم فشلوا في الدراسة بسبب صعوبة المناهج أو لأي سببٍ آخر.

جدول رقم(٤) ما أسباب التسرب الدراسي؟

سبب ترك التعليم	التكرارأو عدد الأطفال	النسبة المئوية
تكلفة الدراسة	٥٥	٥٣
إعالة الاسرة	١٤	١٤
عدم الرغبة في التعليم	٢٠	١٩
فشل دراسي	١٥	١٤
المجموع	١٠٤	%١٠٠

وإذا نظرنا للأسباب السابقة نجد أن ٦٧% أرجعوا أسباب تسربهم إلى العامل الاقتصادي؛ حيث إن ارتفاع التكلفة وإعالة الأسرة تُعد عوامل اقتصادية، بينما بلغ عدد الحالات التي ذكرت أسبابًا غير اقتصادية ٣٣%، وهي الأسباب المتعلقة بالفشل الدراسي وعدم الرغبة، وهذان العاملان يعكسان عدم وعي الأطفال وأسرهم بقيمة التعليم وأهميته.

الجدول رقم (٥) ما نوع المسكن؟

نوع المسكن	عدد الأطفال	النسبة المئوية
ملك	١٤	١٧.٥
إيجار منفرد	٢٤	٣٠
عشوائي	٣٦	٤٥
غير مبين	٦	٧.٥
المجموع	٨٠	%١٠٠

حالة المنزل الذي يقيم به الطفل العامل: حيث أجاب ١٧.٥% بأنهم يقيمون في منزل ملك، في حين أجاب ٣٠% أنهم يقيمون في منزل إيجار منفرد، و ٤٥% أنهم يقيمون في منزلٍ في منطقة عشوائية، أما مَن لم يستجيبوا لوصف أو ذِكر نوع السكن فبلغوا ٧.٥%.

ولعل المتأمل للنسب السابقة يتوقع أن مستوى الأطفال الاقتصادي جيد، إلا أن هذا غير الحقيقة؛ حيث إن معظم هؤلاء الأطفال مغتربون، وأنهم قد يصفون منازلهم في بيئتهم الأصلية، سبب آخر وهو أن الأطفال الذين ذكروا أن منزلهم إيجار لم يحددوا مكان وجوده

الذي غالبًا ما يكون في منطقة عشوائية، سبب ثالث هو إخفاء الأطفال لحقيقة وضعهم حتى لا يتم النظر إليهم بصورةٍ متدنية، ومن خلال ملاحظتي غالبًا ما يقيم هؤلاء في المناطق العشوائية مثل (الحاج يوسف وغيرها من المناطق على أطراف المدن).

الجدول رقم (٦) مع من تقيم؟

مع من يقيم الطفل	عدد الأطفال	النسبة المئوية
الوالدين	١٠	١٣
أحد الوالدين	٢٠	٢٥
الإخوة	٨	١٠
أهل غير الوالدين	١٨	٢٣
الأصدقاء	٦	٧
بمفردهم	١٢	١٥
غير مبين	٦	٧
المجموع	٨٠	%١٠٠

مع من يقيم الطفل العامل؟ وقد أجاب ١٣% بأنهم يقيمون مع أبويهم، في حين أجاب٢٥% أنهم يقيمون مع أحد الوالدين، بينما أجاب ٨% بأنهم يقيمون مع إخوتهم، بينما بلغ عدد من يقيمون مع الأهل غير الوالدين ٢٢.٥%، أما مَن أقاموا مع الأصدقاء فبلغوا ٧.٥%، في حين أن مَن أقاموا بمفردهم ١٥%، أما من لم يستجيبوا قبلغوا ٧.٥%، ولعل السبب في أن حوالى ٥٧.٥% أقاموا مع غير الوالدين يرجع إلى أن معظم هؤلاء الأطفال مهاجرين وغالبًا ما يهاجرون بمفردهم إلى الخرطوم، لذا فهم يقيمون مع إخوتهم الذين سبقوهم أو مع الأصدقاء أو مع الأهل غير الأقارب الذين أتوا إلى الخرطوم واستقروا فيها، أو يقيمون بمفردهم في مناطق عملهم. أما عن باقي الحالات البالغ ٤٢.٥%، فهم يقيمون مع والديهم أو أحد الوالدين، وهذا يعكس أن المجتمع السوداني مجتمعٌ تقليدي يقدر الأسرة، ولعل المستجدات التي طرأت على المجتمع من حروبٍ وموجات جفافٍ هي التي دفعت هؤلاء الأطفال إلى الهجرة.

الجدول رقم (٧) ما موطنك الأصلي؟

الموطن الأصلي	عدد الأطفال	النسبة المئوية
الخرطوم وتشمل: الخرطوم، أم درمان، الخرطوم بحرى	٣٤	٢٤
خارج الخرطوم	١٠٦	٧٦
المجموع	١٤٠	%١٠٠

موطن أو مولد الأطفال العاملين: حيث أجاب ٢٤% بأنهم ولِدوا وعاشوا في الخرطوم. أما من ولِدوا خارج الخرطوم فبلغوا ٧٦%، ولعل السبب في كِبر عدد الأطفال المولودين خارج الخرطوم يرجع إلى استقبالها للعديد من المهاجرين من الجنوب والغرب؛ بسبب انتشار الحروب في الجنوب وموجات الجفاف في الغرب وهو ما أدى إلى فرار العديد من الأفراد والأسر خوفًا من الإيذاء نتيجة الحروب أو الهلاك نتيجة الجفاف.

الجدول رقم (٨) هل يعمل الأب أو الأم؟

هل يعمل الوالدان	عدد الأطفال	النسبة المئوية
الأب يعمل	**٣٠**	**٣٧.٥**
الأم تعمل	**٢٠**	**٢٥**
الأب لا يعمل	**١٢**	**١٥**
الأم لا تعمل	**١٨**	**٢٢.٥**
المجموع	**٨٠**	**%١٠٠**

مدى عمل الأب والأم من عدمه: حيث أجاب٣٧.٥% بأن آباءهم يعملون، بينما أجاب ٢٥% بأن أمهاتهم تعمل، بينما جاءت إجابة ١٥% أن آباءهم لا يعملون، أما عدد الذين لا تعمل أمهاتهم فبلغوا ٢٢.٥%، ولعل عدد الحالات البالغ ٣٧.٥%، وهم عدد الحالات التي ذكرت أن لا الأب و لا الأم يعملان. ومن الممكن أن نرجع ذلك إلى أن معظم هؤلاء الأسر مهاجرة وأقاموا على أطراف المدن، وفي الغالب لا يتقن هؤلاء الأفراد مهارات تؤهلهم للعمل، وإن كانوا يملكون مهاراتٍ فهي غالبًا لا توافق الأوضاع في المدينة، أو بمعنى آخر لا تلائم الحياة المدنية.

الجدول رقم (٩) هل يقيم الوالدان معًا؟

هل يقيم الوالدان معًا	عدد الأطفال	النسبة المئوية
نعم	**٢٢**	**٢٧.٥**
لا	**٥٨**	**٧٢.٥**
المجموع	**٨٠**	**%١٠٠**

أما إذا كان آباء وأمهات الأطفال العاملين يقيمون معًا أم لا: أجاب٢٧.٥ % بأنهم يعيشون في كنف أسرةٍ مستقرة بها الأب والأم معًا، بينما جاءت إجابة ٧٢.٥% أنهم يعيشون

مع أحد الوالدين دون الآخر، ولعل ازدياد نسبة معيشة الأطفال مع أحد الوالدين دون الآخر، هو إما لوفاة أحدهما أو طلاقه، كما أن هذا لا يتعارض مع الجدول (١-٦) حيث إننا ذكرنا أن الأطفال يعيشون بمفردهم أو مع الإخوة أو الأهل غير الأقارب، وهذا لا يعني عدم وجود الأهل أو أنهم لايقيمون معًا؛ حيث إنهم قد يعيشون في الموطن الأصلي مما يوضح أسباب عدم إقامة آباء وأمهات الأطفال معًا.

الجدول رقم (١٠) ما أسباب عدم إقامة الأب و الأم معًا؟

اسباب عدم الإقامة	عدد الأطفال	النسبة المئوية
أحدهما متوفى	**٢٥**	**٤٦**
مطلقان	**١٥**	**٢٨**
متزوج من أخرى	**١٠**	**١٨.٥**
غير مبين	**٤**	**٧.٥**
المجموع	**٥٤**	**%١٠٠**

وكان عدد الحالات التي أجابت أن آبائهم لا يقيمون معًا ٥٤ حالة في هذا الجدول = ١٠٠%، حيث أقر٤٦.٣% بأن أحد والديهما متوفي، في حين أجاب ٢٧.٨% بأن والديهما مطلقان، وقد أجاب ١٨.٥% بأن والدهم متزوج من أخرى، في حين أن ٧.٤% لم يستجيبوا لهذا التساؤل. ولو تأملنا النسب السابقة نجد أن السبب الثاني لظاهرة عمالة الأطفال يتجلى بوضوح، وهو العلاقات الأسرية غير المستقرة. فبالرغم أننا سبق وذكرنا أن السودان ما زال مجتمعًا تقليديًّا يقدر الأسرة ويرعاها، فإن الواقع له رأي آخر؛ حيث إن الظروف المعيشية الصعبة والهجرة والإقامة على أطراف المدن وتغير نمط الحياة وعدم وجود وظائف لأغلب الآباء و الأمهات، كل هذا من شأنه أن يعمّق الخلافات ويجعل الانفصال سهلاً على عكس وجود هذه الأسر في مجتمعاتها التي ما زالت تحكمها التقاليد والأعراف، بينما وفاة أحد الوالدين له أسباب عدة: كالحروب وموجات الجفاف... إلخ.

الجدول رقم (١١) كم عدد الإخوة والأخوات؟

عدد الإخوة و الأخوات	عدد الأطفال	النسبة المئوية
١-٣	**٢٤**	**٣٠**
٤-٦	**٤٦**	**٥٧**
٦ فما فوق	**١٠**	**١٣**
المجموع	**٨٠**	**%١٠٠**

عدد إخوة الطفل العامل: أجاب ٣٠% بأن لديهم من ١-٣ إخوة فقط، في حين أجاب ٥٧% بأن لديهم ٤-٦ إخوة، أما من أجابوا بأن لديهم أكثر من ٦ إخوة فبلغوا ١٢.٥%، فكما سبق وأشرنا إلى أن العلاقات الأسرية غير المستقرة تلعب دورًا مهمًا في ظاهرة عمالة الأطفال، فإن حجم أسرة الطفل العامل يلعب دورًا لا يقل أهمية في ذات الظاهرة، حيث كلما زاد حجم الأسر، أصبحت عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها وواجباتها تجاه أعضائها؛ لذا يصبح الخيار الوحيد أمام هذه الأسر هو الدفع بأبنائهم لسوق العمل حتى تستطيع أن توفر احتياجاتها الأساسية التي تمكنها من البقاء على قيد الحياة، وخاصة أن معظم هذه الأسر تقيم في مناطق هامشية لا يوجد بها مستوى معيشي جيد.

الجدول رقم (١٢) هل يعمل الإخوة؟

هل يعمل الإخوة؟	عدد الأطفال	النسبة المئوية
نعم	٢٦	٣٢ر٥
لا	٥٤	٦٧ر٥
المجموع	٨٠	١٠٠%

هل يعمل أخوة الطفل العامل أم لا؟ وجاءت الإجابات كالتالي: أوضح ٣٢.٥% أن إخوتهم يعملون في نفس مجالاتهم أو في مجالاتٍ أخرى، في حين أجاب٦٧.٥ % بأن إخوتهم لا يعملون لأسباب عديدة، منها: أنهم ما زالوا في مراحل التعليم المختلفة، أو أنهم ما زالوا صغارًا، أو لأنهم يساعدون آبائهم في الأعمال المنزلية... إلخ.

الجدول رقم (١٣) ما الحالة الاقتصادية للأسرة؟

الحالة الاقتصادية	عدد الأطفال	النسبة المئوية
جيدة	١٠	١٢.٥
متوسطة	١٨	٢٢.٥
فقيرة	٥٢	٦٥
المجموع	٨٠	١٠٠%

الحالة الاقتصادية للأسرة: حيث جاءت إجابة ١٢.٥% بأن المستوى الاقتصادي لأسرهم جيد، في حين أجاب ٢٢.٥% بأن مستوى أسرهم الاقتصادي متوسط، وأوضح ٦٥% أن مستوى أسرهم الاقتصادي فقير أو متدنٍ. ولعل النسب السابقة تفسر أو توضح أهم سببٍ لنزول الأطفال إلى سوق العمل في الخرطوم، وهو العامل الاقتصادي. هناك نقطة

أخرى مهمة، وهي إجابة ٣٥% بأن أسرهم تحيا في مستوى جيدٍ أو متوسط، ويجب أن ننظر لهذه النسبة بحذرٍ؛ فهي تعكس وجهة نظر الأطفال في حياتهم، حيث إنهم يرون أن ظروفهم أفضل من أقرانهم وأكثر راحة، وإن كانت من وجهة النظر الأشمل لا تختلف كثيرًا عن مستوى الأسر الفقيرة، وإذا سلمنا بآرائهم .. فماذا دفعهم ودفع أسرهم إلى سوق العمل إذا كانوا يملكون القدرة على الإنفاق عليهم دون أن تضطر إلى إلحاقهم بالأعمال في هذا السن المبكرة؟، وسبب آخر وقد يكون هو الأقرب إلى التصديق وهو أن هؤلاء الأطفال يريدون بتلك الطريقة أن يحسّنوا من صورتهم أمام المجتمع.

جدول رقم (١٤) ما الحالة الاجتماعية للأسرة؟

الحالة الاجتماعية	عدد الأطفال	النسبة المئوية
مشاكل أسرية	**٤٠**	**٥٠**
مشاكل بين الإخوة	**٢٤**	**٣٠**
لا يوجد	**١٦**	**٢٠**
المجموع	**٨٠**	**%١٠٠**

الحالة الاجتماعية لأسرة الطفل العامل: حيث أجاب ٥٠% بأن الأسر التي يعيشون في كنفها تعاني من مشاكل بين أبويهم، في حين أجاب ٣٠ % بأن المشاكل التي يعانونها هي مشاكل مع إخوتهم، في حين أجاب ٢٠% بأنهم لا يعانون أي نوعٍ من المشاكل داخل نطاق أسرهم. وإذا نظرنا إلى النسب السابقة نجد أن ٨٠% أقروا بأن أسرهم تعاني من مشاكل سواء بين الأب والأم أو بين الأبناء، ومن هنا نستطيع أن نقول إن هذه المشاكل تمثل سببًا من أسباب ظاهرة عمالة الأطفال في الخرطوم.

الجدول رقم (١٥) ما أنواع المشاكل الأسرية؟

أنواع المشاكل	عدد الأطفال	النسبة المئوية
الطلاق	**٢٨**	**٤٤**
زواج الوالدين من آخرين	**٥**	**٨**
خلافات بين الوالدين	**٧**	**١١**
مشاكل الإخوة	**٢٤**	**٣٧**
المجموع	**٨٠**	**%١٠٠**

المشاكل التي يعانيها الأطفال العاملين داخل أسرهم: وهو ما اتفقت عليه ٦٤ حالة، ولكن هذا العدد سوف يمثل كامل النسبة في الجدول الحالي (٦٤=١٠٠%). وقد أجابت

٤٣.٨% بأن المشاكل التي تعاني منها أسرهم هي مشاكل مرتبطة بالطلاق، بينما أجاب ٧.٨% بأن مشاكلهم الأسرية تمثلت في زواج آبائهم بامرأة أخرى، في حين رأت ١٠.٩ % أن مشاكلهم هي الخلافات المتزايدة بين الوالدين، أما المشاكل مع الإخوة فأجاب٣٧.٥% بأنهم يعانون مشاكل اقتصادية مع إخوتهم تتمثل في رغبة الإخوة في الحصول على أموال منهم أو نزاعٍ على ملابس... إلخ. ونرى أن كثرة المشاكل قد تدفع بالأطفال إلى سوق العمل؛ رغبة منهم في الخروج من هذه الدائرة أو للإنفاق على أمهاتهم بعد الطلاق.

جدول رقم (١٦) ما القطاعات التي يعمل بها الطفل؟

قطاع العمل	عدد الأطفال	النسبة المئوية
قطاع الصناعة	**١٢**	**١٥**
قطاع التجارة	**٢٨**	**٣٥**
قطاع الخدمات	**٤٠**	**٥٠**
المجموع	**٨٠**	**%١٠٠**

قطاعات عمل الأطفال والتي تتروح ما بين العمل في القطاع الصناعي أو التجاري أو الخدمي: ولقد جاءت الإجابات كالتالى: أوضح ١٥% أنهم يعملون في مجال الصناعة، في حين أجاب ٣٥% بأنهم يعملون بالتجارة، أما العاملون في قطاع الخدمات فبلغ ٥٠%. ولو تأملنا النسب لوجدنا اختلافًا بين الواقع والمكتبي، حيث إن عدد الأطفال الذين يدرسون في مركز التدريب كبير، ومَن قابلتهم حوالى ٢٠ طالبًا، والمفترض أن يعمل هؤلاء في المجال الصناعي، إلا أنه عند توجيه هذا السؤال لهم أجابوا بأنهم يعملون في التجارة والخدمات ونسبة ضئيلة منهم هي التي تعمل في الورش والمصانع المحيطة. سبب ثانٍ فيما يتعلق بالعمل في القطاع الصناعي، وهو رغم أنني رأيت عاملين في بعض المصانع فتيات وفتيان، فإن أصحاب المصانع ينكرون ذلك تمامًا؛ خوفًا من الوقوع تحت طائلة المساءلة، ولقد رأيت بعض الأطفال الصغار يقومون بجمع الخردة في أحد المصانع، ولكن صاحب المصنع نفى ذلك؛ لأن هذا العمل قد يعرض حياة الطفل للخطر؛ نتيجة الجروح التي قد يتعرض لها والتي قد تصل لحد البتر. والغريب حقًّا أن أحد أصحاب المصانع قام بتحذير زملائه من أن يسمح لي بالدخول للمصنع؛ خشية أن أكون تابعة لهيئة أو منظمة دولية أو أنني أقوم بعمل مراقبة أو تفتيش وقد أقوم بالإبلاغ عنه وبالتالي أعرضه للمساءلة، ولعل هذا سبب رئيس في عدم الوقوف على الظاهرة بشكلٍ كامل؛ حيث إن هناك أزمة ثقة بين القائمين

على حل المشكلة والمشاركين فيها، وبالتالى فإن أي خططٍ يجب أن تُبنى على بياناتٍ واقعية حتى تؤتي ثمارها، وهذا لن يحدث إلا عندما تكون هناك ثقة بين طرفي المشكلة، وأن يتم اجتذاب أصحاب الأعمال باللين وليس بالعقاب؛ لآن ذلك سوف يعود بالفائدة على كافة الأطراف، وسوف يؤدي إلى نتائج واقعية وفعَّالة.

جدول رقم (١٧) ما مناطق عمل الأطفال؟

مناطق العمل	عدد الأطفال	النسبة المئوية
المنطقة الصناعية	١٢	١٥
السوق والشارع	٢٨	٣٥
خدمات الشوارع والمنازل	٤٠	٥٠
المجموع	٨٠	%١٠٠

عمل الأطفال: حيث أجاب ١٥% بأنهم يعملون داخل المنطقة الصناعية في الورش والمصانع المنتشرة في منطقة أم درمان، في حين أجاب٣٥% بأن مناطق عملهم تتركز في الأسواق والشوارع، بينما مَن أجابوا بأنهم يعملون في مجال الخدمات ٥٠%، وهؤلاء إما يعملون في الخدمة في المنازل أو في الخدمات في الأسواق: كغسيل السيارات ومساعدة بائعات الأطعمة والمشروبات في السوق... إلخ.

ولعل ارتفاع النسبة في قطاع الخدمات والتجارة والتي بلغت ٨٥% يرجع إلى أن هذه المهن لا تحتاج إلى مهاراتٍ أوخبراتٍ لممارستها، ولعل أكثر هذه الأشكال سوءًا العمل في خدمة المنازل، ورغم أن المنظمات لم تولِ اهتمامًا كبيرًا لهذا النوع من الأعمال باعتباره عملاً آمنًا، فإن خطورة هذا النوع تكمن في سريته وأنه مستتر لا يمكن مراقبته، ولا يمكن معرفة مدى الإيذاء الذي قد يتعرض له الطفل في هذا من اعتداء بدني ومعنوي.

جدول رقم (١٨) مَن قام باتخاذ قرار عمل الطفل؟

متخذ قرار العمل	عدد الأطفال	النسبة المئوية
أحد الوالدين	١٦	٢٠
الأقارب	٢٢	٢٧.٥
الطفل بمفرده	٤٢	٥٢.٥
المجموع	٨٠	%١٠٠

متخذ القرار في عمل الطفل: وقد أجاب٢٠% بأن أحد الوالدين هو متخذ القرار، في حين أجاب٢٧.٥% بأن الأقارب هم متخذو قرار عملهم، و٥٢.٥% بأنهم قرروا العمل بمفردهم. ولعل ارتفاع نسبة متخذي القرار من غير الوالدين سببها أن الأطفال يأتون للإقامة عند هؤلاء الأقارب؛ لذا هم مَن يشجعونهم على النزول لسوق العمل، وهناك سبب آخر هو أن هؤلاء الأقارب سبقوا الأهل للإقامة في الخرطوم فهم أكثر خبرةً ودراية، ولذا فهم يلحون على الأهل لإنزال أبنائهم لسوق العمل، ويذكرون لهم مزايا ذلك كجعل الطفل أكثر قدرة على تحمل المسئولية... إلخ. أما عن ارتفاع نسبة الأطفال المتخذين للقرار، فهو ضيق ذات يد الأسرة مما يجعل هؤلاء الأطفال يشعرون بمسئولية تجاه أسرهم لذا يقررون العمل.

جدول رقم (١٩) هل تعمل حرًّا أم بأجر؟

طبيعة العمل	عدد الأطفال	النسبة المئوية
بأجر	٣٠	٣٧.٥
حـــر	٥٠	٦٢.٥
المجموع	٨٠	%١٠٠

طبيعة عمل الأطفال هل هو بأجر أم عمل حر: أجاب ٣٧.٥% بأنهم يعملون بأجرٍ، في حين ٦٢.٥% بأنهم عملهم حر. والحر يعني أن الأطفال ليسوا ملتزمين بعملٍ يتيح لهم الحصول على مقابل عند الانتهاء منه، وإنما على سبيل المثال الأطفال الذين يمسحون السيارات في الإشارات والأطفال الذين يبيعون المناديل أو البضائع الصغيرة في أماكن متفرقة سواء في السوق أو الشارع... إلخ، حيث إن ما يحصل عليه هؤلاء ليس ثابتًا ولا دائمًا؛ لذا سُمي حرًّا، كما أن بعض الأطفال يعملون لحسابهم الخاص حيث يشترون بضاعة بمبلغ ويقومون ببيعها ويربحون منها، ومن المقابل والربح يقومون بشراء كمية أكبر وهكذا.

جدول رقم (٢٠) ما طريقة الحصول على الأجر؟

نوعية الأجر	عدد الأطفال	النسبة المئوية
يومي	٤٤	٥٥
أسبوعي	٢٦	٣٢.٥
شهري	١٠	١٢.٥
المجموع	٨٠	%١٠٠

طريقة حصول الأطفال العاملين على أجرهم: الذين أقروا بأنهم يحصلون على أجر يومي ٥٥%، حيث أجاب ٣٢.٥% بأنهم يحصلون على أجرهم أسبوعيًّا، أي أنهم يقومون بالعمل وبعده يأخذون أجرهم، ومنهم بعض حالات الخدم، في حين ١٢.٥% بأنهم يحصلون على أجرهم بصورة شهرية، أي أن صاحب العمل يعطيهم المقابل في نهاية الشهر. ولعل الإجابات السابقة تعكس حالة عدم الاستقرار التي يعيشها هؤلاء الأطفال، حيث أجاب٨٨% بأنهم يحصلون على أجرهم بصورة يومية أو أسبوعية، وهذا يعني أنهم عرضة للتغيير في أي وقتٍ، كما أن هذا يعني عدم خضوعهم لأي تأمين، كذلك ليس لهم حقوق لدى صاحب العمل، إلى آخره من مساوئ العمل غير المستقر.

جدول رقم (٢١) ما طريقة إنفاقك لدخلك؟

طريقة الإنفاق	عدد الأطفال	النسبة المئوية
للإنفاق على الأسرة	**٥٠**	**٦٢.٥**
للإنفاق على ذاتي	**٢٠**	**٢٥**
لاستكمال التعليم	**١٠**	**١٢.٥**
المجموع	**٨٠**	**%١٠٠**

طريقة إنفاق الأطفال للدخل الذي يحصلون عليه بنوعيه: حيث أجاب ٦٢.٥% بأن معظم الدخل الذي يحصلون عليه يوجَّه إلى أسرهم كمساهمة في النفقات، في حين بلغ عدد الحالات التي ذكرت أنها تستغل دخلها في الإنفاق على ذاتها ٢٥%، ولعل هذا سببه أن كثيرًا من هؤلاء الأطفال يعيشون بعيدًا عن أسرهم. أما عدد الحالات التي ذكرت أنها تستغل دخلها للإنفاق على دراستها، فبلغ ١٢.٥%، ولعل السبب في ارتفاع نسبة الأطفال الذين ينفقون على أسرهم ترجع إلى شعور هؤلاء الأطفال بالمسئولية تجاه أسرهم، وأن كثيرًا من الأسر لا يوجد بها عائل سوى الأم التي غالبًا لا تعمل؛ لذا ينزل الأطفال للعمل للإنفاق على أمهاتهم.

جدول رقم (٢٢) هل تدربت على العمل؟

الحصول علي التدريب	عدد الأطفال	النسبة المئوية
نعم	**٢٠**	**٢٥**
لا	**٦٠**	**٧٥**
المجموع	**٨٠**	**%١٠٠**

حصول الأطفال على التدريب من عدمه: أجاب٢٥% بأنهم تلقوا تدريبًا على أعمالهم سواء من خلال مركز التدريب أو ممن سبقوهم أو من الأطفال الأكبر سنًّا، بينما ذكر ٧٥% أنهم لم يتلقوا تدريبًا على المهن التي يقومون بها، ولعل ذلك سببه أن معظم هؤلاء الأطفال يعملون في مهن لا تحتاج إلى مهارة أو تدريب، مثل: بيع المناديل، ومسح الأحذية، ومسح السيارات، والعمل في المواقف... إلخ.

جدول رقم (٢٣) هل هناك خطورة من عملك؟

هل توجد خطورة في عملك؟	عدد الأطفال	النسبة المئوية
نعم	**٦٠**	**٧٥**
لا	**٢٠**	**٢٥**
المجموع	**٨٠**	**%١٠٠**

مدى تعرض الأطفال للخطورة أثناء عملهم من عدمه: حيث أقر ٧٥% بأنهم يتعرضون لخطورة أثناء عملهم، في حين أجاب٢٥% بأنهم لا يرون أي خطورة في العمل.

وإذا تأملنا النسب نرى مدى معاناة هؤلاء الأطفال، حيث إنه ليس هناك مهن خطرة وأخرى غير خطرة، فوجود الطفل في سن صغيرة لمدة طويلة في الشارع خطر، وإن كانت منظمات العمل أقرت الأعمال الأكثر خطورة، إلا أنها لم تضع في حسبانها طرق التعامل مع هؤلاء الأطفال في مختلف الأقطار التي قد تكون أكثر إيلامًا وإيذاءً من الانخراط في أسوأ أشكال العمالة، ولعل هذا كان واضحًا في دراسة "أطفال الهجن"، حيث إن كثيرًا من الأطفال المشاركين لم يلتفتوا إلى مصاعب العمل بقدر تأكيدهم على سوء المعاملة التي عاشوها هناك. مثال آخر وهو إذا قمنا بنهْر طفلٍ صغيرٍ عن مسح سيارة مثلاً اعتقادًا أن هذا سوف يثنيه عن التسول، قد يترك في نفسه جرحًا بالغًا، كذلك إذا تجاوبنا معه قد يفرحه هذا وقتيًا، ولكنه سوف يفسده على المدى الطويل. من هنا نستطيع أن نقول إن تلك الظاهرة لن تُحل إلا عن طريق الحوار البنَّاء الهادف القابل للتنفيذ، إلى جانب إعداد كوادر يقع على عاتقها إدماج هؤلاء الأطفال في المجتمع مرة أخرى بصورةٍ سليمة ومدروسة، في حين أن مهمتها الأكبر هي تحسين صورة هؤلاء الأطفال لدى السواد الأعظم من أفراد المجتمع.

جدول رقم (٢٤) ما أنواع الخطورة؟

نوع الخطورة	عدد الأطفال	النسبة المئوية
رفع أشياء ثقيلة	١٢	٢٠
التعرض للإصابة والجروح	١٨	٣٠
الشمس والحر	١٢	٢٠
الحوادث	١٨	٣٠
المجموع	٦٠	%١٠٠

أنواع الخطورة التي يتعرض لها الطفل العامل أثناء عمله: حيث أجابت ٦٠ حالة بأنهم يتعرضون للخطورة أثناء عملهم، وهذا العدد سوف يصبح هو حجم العينة في هذا العنصر، أي أن (٦٠ حالة =١٠٠%)، وقد أجاب ٢٠% بأن الخطورة التي يتعرضون لها هي حَمْل أشياء ثقيلة، بينما من أجابوا بأنهم تعرضوا للإصابات والجروح بلغوا ٣٠%، في حين أجاب ٢٠% بأن الخطورة تتمثل في تعرضهم للشمس والحرارة العالية، أما من أجابوا بأنهم تعرضوا لحوداث طرق أو حوداث أخرى، فكانوا ٣٠%.

جدول رقم (٢٥) هل أنت راضٍ عن عملك؟

راضٍ عن عملك	عدد الأطفال	النسبة المئوية
نعم	٦٠	٧٥
لا	٢٠	٢٥
المجموع	٨٠	%١٠٠

مدى رضا الأطفال العاملين عن عملهم من عدمه: أجاب٧٥% بأنهم راضون عن عملهم، في حين من أجابوا بأنهم غير راضين بلغوا ٢٥%. ولعل الرضا وعدم الرضا من الأمور النسبية، حيث أقر الأطفال بأنهم راضون، وقد يكون ذلك بسبب حصولهم على أجر يوفر لهم البقاء على قيد الحياة أو أنه يساهم في إعالة أسرهم إلى آخره من الأسباب. أما عدم الرضا، فقد يكون له أسبابٌ أخرى، وهي تعرضهم لمضايقات، أو معاملة الأشخاص لهم، أو عدم وفاء العمل باحتياجاتهم... إلخ.

جدول رقم (٢٦) هل تقبل إذا أتيحت لك فرصة لاستكمال تعليمك؟

فرصة تعليم	عدد الأطفال	النسبة المئوية
نعم	٥٠	٦٢.٥
لا	٣٠	٣٧.٥
المجموع	٨٠	١٠٠

هل يقبل الأطفال العاملون الاستمرار في التعليم إذا أتيحت لهم فرصة الانتظام مرة أخرى في الدراسة؟ أجاب ٦٢.٥% بأن لديهم الاستعداد لترك العمل والاستمرار في الدراسة، ولعل هذه الشريحة ترغب في تحسين مستواها المادي والمعنوي والارتقاء واحتلال مكانةٍ أفضل، في حين أجاب ٣٧.٥% بلا، لن نترك العمل من أجل الدراسة، ولعل هذه الشريحة لها مبرر في الاستمرار في العمل؛ وهو الشعور بمسئولية تجاه أسرهم، كذلك أن هذه الشريحة أصبح لديها نوعٌ من الاستقلال المادي لن يتنازلوا عن هذا الأجر نظير الرجوع مرة أخرى للدراسة، وأنهم عقدوا مقارنة بين الأجر الذي يحصلون عليه الآن والأجر الذي سوف يحصلون عليه بعد استكمال دراستهم، فوجدوا هذا أكثر بغض النظر عن نظرة المجتمع واختلاف المكانة، كذلك أن هؤلاء الأطفال يرون ظاهرة البطالة بالنسبة للدراسين في معظم المجالات وبين إخوتهم أو أقاربهم أو المحيطين بهم.

جدول رقم (٢٧) ما العقاب الذي يتلقاه الطفل العامل بأجرٍ من رئيسه؟

تصرف الرئيس	عدد الأطفال	النسبة المئوية
ضرب	١٠	٣٣
زجر وتوبيخ	٧	٢٣
خصم من الراتب	٨	٢٧
معاملة حسنة	٥	١٧
المجموع	٣٠	%١٠٠

معاملة رؤساء العمل للأطفال العاملين: ولعل هذه الحالة تنطبق على العاملين بأجر، وهم ٣٠ حالة، وهذا العدد يمثل إجمإلي الحالات في هذا العنصر (٣٠ حالة =١٠٠%)، ولقد أجاب ٣٣.٣% بأنهم يتعرضون للضرب من قِبل رؤسائهم في العمل، في حين ٢٣.٣% بأنهم يتعرضون للزجر أو التوبيخ من قِبل رؤسائهم، بينما أجاب ٢٦.٧% بأنه يتم خصم جزء من راتبهم نظير أي خطأ يرتكبونه، بينما الذين أجابوا بأن رؤساءهم يعاملونهم بالحسنى

بلغوا ١٦.٧%. ولعل الإجابات السابقة تعكس الظروف الصعبة التي يعيشها هؤلاء الأطفال، حيث إن عدد الحالات التي أقرت بأنها تخضع للعقاب عند ارتكابها أي خطأ بلغت ٨٣.٣%.

جدول رقم (٢٨) ما علاقة الطفل بزملائه في محيط العمل؟

طبيعة العلاقة	عدد الأطفال	النسبة المئوية
جيدة	**٣٠**	**٣٧.٥**
معتدلة	**٣٠**	**٣٧.٥**
سيئة	**٢٠**	**٢٥**
المجموع	**٨٠**	**%١٠٠**

لا شك أن علاقة الطفل بزملائه تلعب دورًا مهمًا في استمرار الظاهرة، والجدول رقم (٢٨) يوضح تلك العلاقة من خلال إجابات الأطفال، حيث أجاب ٣٧.٥% بأن علاقتهم بزملائهم جيدة ويسودها التعاون، في حين أجاب ٣٧.٥% بأن علاقتهم بأقرانهم معتدلة أي وسط ليست محبة أو عداء، بينما من أجابوا بأن علاقتهم بالزملاء سيئة ٢٥%. ونجد من الإجابات السابقة أن الفئة الأولى آثرت السلامة مع الزملاء سواء في المصانع أو السوق أو الشارع؛ لكي يستمروا في عملهم، أو حتى يتجنبوا إيذاءهم واعتداءهم عليهم، في حين أن الفئة الثانية آثرت الحياد في التعامل، أي قصروا تعاملهم مع زملائهم على علاقة العمل فقط، بينما اتبعت الشريحة الثالثة أسلوب العنف؛ حتى تصنع لنفسها مكانًا وسط الزملاء، وحتى يهابوهم ولا يحاولوا الاعتداء عليهم، ولعل هذه الفئة هي أقل فئة؛ حيث إن الغالبية من الأطفال تؤْثر السلامة حتى تستطيع أن تعول أسرها.

الآثار الناتجة عن عمالة الأطفال في الخرطوم:

رغم أن ظاهرة عمالة الأطفال مستهجنة في كل أحوالها، فإن هناك مَن اعتبر ظاهرة عمالة الأطفال لها العديد من الجوانب الإيجابية إذا ما توافرت لها البيئة الملائمة، ولكن الواقع أثبت أن ظاهرة عمالة الأطفال ضارة للطفل؛ حيث إنها تعتبر انتهاكًا صارخًا لحقوق الطفل، وتؤثر على الطفل نفسيًّا ومعنويًّا وماديًّا.

وفيما يتعلق بآثار عمالة الأطفال، فمنها: آثار ترتبط بالطفل بصورة مباشرة أو غير مباشرةٍ، بينما هناك آثار ترتبط بالمجتمع بصورةٍ مباشرة أو غير مباشرة، **ومن هذه الآثار:**

١ـ الآثار الاقتصادية والاجتماعية:

لا شك أن عمالة الأطفال تؤدي إلى بطالة البالغين، إلا أن هذا لا ينطبق على الظاهرة في الخرطوم لسببين، أولهما: أن بطالة البالغين موجودة فعلاً، والسبب الآخر أن معظم الأطفال العاملين منخرطون في مهن هامشية، وهي المهن التي تستهوي البالغين بسبب ضعف العائد وما يتعرض له العاملون من معاملةٍ سيئة.

ولكن التأثير الحقيقي لظاهرة عمالة الأطفال هو تأثيرها السلبي على عملية التنمية، حيث إن خروج الأطفال في سن مبكرة من المنظومة التعليمية من شأنه أن يؤثر سلبًا على الثروة البشرية للمجتمع، والتي سوف تضعف نتيجة خروج الأطفال من العملية التعليمية وعدم حصولهم على أي تدريب، وهذا من شأنه أن يضعف القوة التي سوف تلقى على عاتقها حَمْل لواء المستقبل.

ومن القيم الخاطئة في المجتمعات التقليدية، الاعتقاد بأن انخراط الطفل في سوق العمل من شأنة أن يكسبه مهارات، إلا أن الواقع أثبت فشل هذا الاعتقاد، حيث إن معظم الأطفال يمارسون مهنًا طفيلية لا تكسب الفرد آية مهارات.

ورغم تطرقنا إلى التحاق الأطفال بمراكز التدريب، فإن الواقع الذي لمسناه أن هذه المراكز لا تؤدي دورها بكفاءة؛ إما بسبب ضعف الإمكانات، أو بسبب عدم وعي أصحاب الأعمال بأهمية التدريب واستخدام الوسائل الحديثة في التصنيع.

مما سبق نجد أن عمالة الأطفال في الخرطوم تؤثر بالسلب على رأس المال البشري وخطط التنمية الاقتصادية، وهي تأثيرات طويلة المدى لا تعيها أسر الأطفال أو المجتمع، فإذا كان عمل الطفل ضرورة مُلحّة للأسر في الوقت الحالى، فإنها لن تكون كذلك بالنسبة للأسرة أو المجتمع على المدى الطويل.

أما فيما يتعلق بالآثار الاجتماعية السلبية، فمنها: حالة العزلة التي يعيشها الطفل نتيجة طول فترة العمل بعيدًا عن الأهل والأصدقاء، وكذلك حرمانه من ممارسة هواياته المفضلة واكتسابه سلوكيات سيئة نتيجة بُعده عن رقابة الأهل لفتراتٍ طويلة، ولعل أكثر التأثيرات سوءًا لظاهرة عمالة الأطفال، هي الآثار التي تنتج عن تعرض الأطفال للإيذاء البدني، والذي يترك آثارًا بدنية شديدة، وهذا يوجد في مهن مثل: خدم المنازل والعمل في الشوارع، وإن كانت عمالة الأطفال في نطاق الأسر في نظر العديد من المحللين أقل أنواع عمالة الأطفال إيذاءً ومهانة.

وفي النهاية، نستطيع أن نستخلص أن الآثار الاجتماعية السلبية لظاهرة عمالة الأطفال كثيرة، ولن يكون آثارها على المدى القريب فقط وإنما سوف تظهر على المدى البعيد بصورةٍ أكبر وأعمق.

٢- الآثار الصحية والنفسية:

تعتبر الآثار السلبية التي يتركها عمل الأطفال على صحتهم ونفسيتهم هي الأكثر تأثيرًا ودمارًا على المجتمع، ولا شك أن الإصابات التي يتعرض لها الطفل أثناء عمله تترك آثارًا سلبية على تطوره النفسي والبدني؛ حيث إن الأطفال أكثر عرضه للإصابة، ولعل ذلك بسبب نقص وعي الأطفال أو قلة الحيطة والحذر من قِبَل الأطفال العاملين، بالإضافة إلى عدم معرفة الطفل بحقوقه. كل هذا من شأنه أن يدعم زيادة استغلال الطفل ماديًّا ومعنويًّا وبدنيًّا، وفي هذه الدراسة نجد أن الزجر والضرب الذي يتعرض له الطفل في هذه السن المبكرة يؤثر عليه بالسلب ويساهم في زيادة العدوانية لديه، كما أن هناك مهنًا يتعرض فيها الطفل للإيذاء البدني والمعنوي ولا يستطيع أن يقر بذلك؛ إما لعدم إدراكه أو لخوفه من استهجان المجتمع، ولعل أكثر هذه الصور وضوحًا في قطاع خدم المنازل؛ حيث إن هذا المجال يتسم بالسرية من طرفي العلاقة.

تُعد ظاهرة "أطفال الشوارع أو أطفال بلا مأوى" ظاهرة عامة؛ حيث إنها توجد في دولٍ كثيرة، وهي ظاهرة ضارة إذا لم يتم علاجها، **وهنا سوف نتعرض لقصتان تتحدثان عن أطفال الشوارع في دولة نيجيريا: الأولى تُسمى "تعليم صبي المنطقة" والثانية "منزل الضفادع يُسمى بِرْكَة".**

١- تعليم صبي المنطقة:

ترجمة: د. نهى عبد الله خيرت، **تأليف:** طوني أوجونلوا، وهو مؤلفٌ نيجيري له أكثر من ١٥ مؤلَّفًا ما بين شعرٍ، ومسرحٍ، وقصة قصيرة، وروايات، وهو صحفي ينشر مقالاتٍ في مجلات نيجيرية مختلفة، وتم نشر بعض قصصه على إذاعة (BBC) في يونيو ٢٠١٨.

القصة:

يُطلَق على أطفال الشوارع في نيجيريا "الأولاد"، وهم مجموعة من الأطفال يملكون قانونًا خاصًا بهم "قانون عرفي"، قد يمارسون العنف من أجل الحصول على "كيس حلوى"، ولهم رائحة تميزهم نتيجة وجودهم الدائم في الشارع، يعيشون مثل الحيوانات الضالة

وينامون في أي مكانٍ أسفل الكباري في الحدائق العامة أو في مبانٍ تحت الإنشاء، ولكل منطقة "قائد" هو الطفل الأكبر سنًّا والأقدم وجودًا في الشارع من الآخرين، ومَن ينظم مهام هؤلاء الأطفال وهوالحامي لهم والمدافع عنهم في حال تعرضهم لأي أذى، وغالبًا ما تغطي الندبات وجهه نتيجة تعاركه مع أطفال المناطق المجاورة.

رأيته أول مرة عندما كنت انتظر الحافلة التي تقلّني لعملي وأردت مساعدته، كان أصغر الموجودين، عمره لا يتعدى العشر السنوات بأية حال من الأحوال، وسنّه هذا لا يمكّنه من البقاء في الشارع.

بدأ حديثه معي عندما اقترب مني ليتسول أثناء انتظاري للحافلة، وكان هذا منذ ستة أشهر، في البداية بدأ يتوسل وهذه هي الطريقة التوسل في البداية ثم الاستيلاء على متعلقاتك (حافظة، تليفون محمول... إلخ)، ورغم محاولته فإنه فشل؛ لأني كنت حريصًا على أغراضي، خاصة وأن لي دراية بأساليبهم.

وبمرور الوقت، عرفتُ أن اسمه (صنداي)، عادتي أن أصل إلى موقف الحافلات قبل موعدي بنصف ساعة، وكان يظهر لي من أي مكان، وكنا نتناول الإفطار معًا في أحد المطاعم المنتشرة في الموقف، وبهذه الطريقة كنتُ أضمن تناوله وجبة واحدة على الأقل، ومع تكرار جلوسي معه استطعتُ تكوين صورة كاملة عنه وعن حياته.

هو يرتدي نفس الملابس دائمًا بغض النظر عن درجات الحرارة، وهي عبارة عن سروال كاكي وقميص لأحد الفرق الرياضية الأوربية، ولا يرتدي أي شيء في قدمه، وفي بعض الأحيان أترك له بعض الأموال لإحضار الطعام، رغم يقيني أنه سوف يشتري بها السجائر أو أي شيء ضار، وبعد فترة قررتُ أن اصطحبه معي لمنزلي خاصة أني أعيش بمفردي، وقررت أن أحضره ليقوم ببعض الأعمال المنزلية وأعطيه مقابل؛ لكي يحيا حياة كريمة وتتغير حياته.

كانت محاولة إخراج طفل من تلك المنظومة "أطفال الشوارع" في مدينة مثل "لاجوس"، مغامرةً غير محسوبة قد تكلفني حياتي، ولكني كنتُ أعرف بعض طرق تفكيرهم، لذلك كانت مباراة فكر في مقابل فكر، ودهاء مقابل دهاء، وقد قمتُ بوضع الخطة، وفي إحدى المرات أثناء جلوسنا معًا، عرضتُ عليه فكرة اصطاحبه معي وأن يترك الشارع، وافق ولكنه كان خائفًا من أقرانه، و طلب مني أن أُقسِم ألا أتركه وأعيده مرة أخرى للشارع،

أقسمتُ له بحياة أمي التي رحلت منذ فترة، وفي المقابل طلبتُ منه أن يسمع الكلام ويكون ولدًا مطيعًا.

اتفقنا، وبعد أسبوع نفذت خطتي، كان يوم عطلة رسمية وهو يوم الجمعة، وجدته يقف في المكان الذي اتفقنا عليه ويحمل كل أغراضه معه، وكانت عبارة عن شنطة بلاستيك بها سروال وقميص آخر، وبعض الصور ومجلة " البرج"، وهذا هو الشيء الذي لفتَ نظري في أغراضه خاصة وأني أعلم أنه لا يجيد القراءة أو الكتابة، ولكنه فسَّر امتلاكه هذه المجلة بأن قال أن أحد رجال الدين أعطاها له في موقف الحافلات، وكان الرجل قد أفهمه أن الله سوف يتغاضى عن أفعاله السيئة ويغفر له إذا أقلع عنها، وحدَّثه عن المسيح عيسي بن مريم، ولأنه لا يجيد القراءة أعطاه مجلة مصورة عن حياة عيسي الذي اعتبره مثله الأعلى ورسم له صورة في خياله.

هذا الموقف جعلني أعيد حساباتي، لقد كنتُ أنظر إليه باعتباره مجرمًا، أما الآن فأنا أراه مجرد طفل أخطأ يمكن إصلاحه عن طريق التعليم والتقويم، لقد أخطأنا جميعًا عندما نظرنا إلى أطفال الشوارع باعتبارهم حيواناتٍ مفترسة، وهذه فكرة غير صحيحة، فرغم أن بعضهم أتى إلى الشارع بإرادته، فإن هناك جزءًا آخر، فقد تم طردهم من قِبل أهلهم، ونتيجة تفكيرهم الطفولي وجدوا في السرقة والنهب والعنف وسيلتهم للبقاء في تلك الشوارع سواء بمفردهم أو من خلال جماعة، وهم يرون أنهم قادرون على حماية أنفسهم، وإذا تم إلقاء القبض عليهم، لا تتخذ الشرطة ضدهم أي إجراء؛ خشية مواجهة أقرانهم من أطفال الشوارع، مما ساهم في تفشي الظاهرة.

ـ قمتُ باصطحابه معي إلى منزلي بتاكسي في الجهة الأخرى من المدينة، كان أثناء الرحلة يتلفت كثيرًا ليستطلع ما حوله، وكانت الطرق مرصوفة والمنازل رائعة جميلة، وحراس البوابات يرتدون زيًا موحدًا، وكان مثل طفل محلق في السماء، تركنا التاكسي واتجهنا إلى المنزل، وأصابه الذهول عندما قام حارس البوابة بفتح الباب، وقال: "صباح الخير"، كادت عينه تخرج من مكانها عندما قمتُ بفتح باب الشقة فألقى نظرة سريعة على محتويات الشقة، ثم دخل ووقف في أحد الأركان؛ خشية أن يفسد شيئًا، دعوتُه للجلوس على الأريكة فقام بالجلوس على طرفه وضم يده بين ساقيه، جائع؟ سألته .. أشار برأسه علامة الموافقة.

اتجهنا إلى المطبخ وما زال يحمل حقيبته، أجلسته أمام المنضدة، بدأ يراقب كل شيء بذهولٍ، كان لديَّ بعض الطعام في الثلاجة، أخرجتُه ووضعتُه في الفرن ثم أخرجته ووضعته أمامه، كانت الأبخرة تتصاعد منه، نظر للطعام لبضع ثوانٍ ثم ما لبث أن انقض على الطعام كما لوكان لن يأكل مرة أخرى.

جلستُ أمامه وأشرتُ إليه بإصبعي أن يبطئ من تناوله للطعام، في قانون "أطفال الشوارع" كانوا يجلسون أمام طبقٍ واحدٍ والأسرع هو القادر على تناول أكبر قدر من الطعام، حاول أن ينفذ ما طلبته منه ولكنه ما زال سريعًا، وقام بلعق الأطباق بلسانه، أردتُ أن أفهمه أننا نقوم بغسل الأطباق، ولكني قررت أن أؤجل ذلك لمرة قادمة، ثم بعد ذلك ذهبنا للاسترخاء، وقمتُ بإعطائه زجاجة مياه غازية، وحدق في التلفاز، وكان يبدو أنه لم يرَ تلفازًا عن قربٍ من قبل، مرَّ اليوم وأقبل الليل، ترك حقيبته وذهب للحمام للاستحمام، وارتدى الملابس التي أحضرتُها له، وكانت مناسبة، بدا لي شخصًا آخر، وجهٌ مشعّ و شعرٌ لامع.

عندما حلَّ موعد النوم أخذته إلى غرفته، كانت غرفة تخزين أعددتها له ووضعت بها سريرًا، وكان في الشارع ينام على كرتونة أو كيس بلاستيك فارغ، وبدا لي مثل طفل يحبو لأول مرة، هل سوف يستطيع السير أو سيسقط؟، وفي النهاية استسلم وارتدى ملابس النوم التي اعتقد أنها ملابس خروج، في البداية تركته وذهبت إلى غرفتي، لم أستطع النوم لفترة، ثم استيقظت على صوت لصٍّ في غرفة المعيشة، سلّحتُ نفسي لأواجه اللص وعندما أضأتُ النور وجدته يقف في أحد الأركان مثل الفأر المذعور ومعه حقيبته، ولكن هذه المرة كان بها أشياء مختلفة: كمبيوتر محمول، وتليفون محمول، وجهاز تحكم عن بُعد، وبعض الأطعمة، فكرتُ بيني وبين نفسي أن أعنفه، ووجدتُ أنه خاف أن أقوم بطرده، لذا قام بجمع هذه الأشياء ليهرب بها قبل أن أطرده، ووجدتني أقول له: "يمكنك الخروج بتلك الأشياء التي أخذتها ولا تعود هنا مرة أخرى أو تقوم بإعادة هذه الأشياء مكانها مرة أخرى وتذهب إلى غرفتك وسريرك هذا هو قرارك، وأغلقتُ الأنوار وعدتُ مرة أخرى إلى غرفتي.

٢- منزل الضفادع يسمي بِرْكَة:

ترجمة: د. نهى عبد الله خيرت، **المؤلف:** أوكويسلي براين، وهو كاتبٌ إفريقي ولِد في جنوب نيجيريا، وهو يهوى الكتابات الواقعية، ورغم أنه يملك الكثير من إلخيال فإنه يدرس القانون.

القصة:

أعرف أنك نشأتَ في الشارع، حدث بينكما توحّد، أصبحت جزءًا منه وأصبح جزءًا منك، رغم حداثة سنّك تأقلمتَ مع حياة الشارع، فقدتَ أبيك وأمك مبكرًا، ووصفكَ أقاربك "بالفأل السيئ"، كلما فقدَ أحد أقاربك شيئًا اتهموك بأنك السارق، وأنت تعلم أنك لستَ لصًّا أو سارقًا؛ لأن أطرافك الدقيقة لا يمكنها فعل ذلك، لذا قررتَ الفرار إلى الشارع وقمتَ بإخبار كل من يقابلك بأن أقاربكَ أشرار، ولم يفهم معظم الناس ما تقوله، خاصة أنك تتحدث "الإيبو"، في حين أن معظم الموجودين في المدينة مغتربون لا يتحدثون سوى الإنجليزية، حتى الذين فهموك وصفوك بالكاذب "أجونوا" طفل سيئ رغم أن عمرك لم يتعدَّ السادسة.

لقد جبت الشوارع تبحث في صناديق القمامة عن بقايا الأطعمة والأرز المحترق وبقايا الزيت المتخلفة في علب السردين الفارغة، أما الخبز القديم المبلل بندى الصباح هو المفضل والأثير لديك، شعرك باهتٌ وفروة رأسك مليئة بالتقرح ووجهك شاحبٌ.

بيوت الطيور في الأشجار نطلق عليها أعشاش، والضفادع تعيش في برك المياه، أما أنت فليس لك بيتٌ، تنام في الحافلات القديمة أو في المنازل تحت الإنشاء، وكانت الحشرات تساهم في إزعاجك فلا تترك فرصة للنوم، وكنتَ تستيقظ مع بزوغ أشعة الشمس؛ لكي تبحث عن طعامك وتتمكن في البقاء على قيد الحياة.

لقد تخطيت سن الطفولة وانتقلت إلى مرحلة المراهقة، وأصبح اسمك "تيجانا" بدلاً من "إيشانا"، ورغم أنك لم تعرف معنى الاسم فإن له صوتًا كما لوكان اسمًا بطوليًّا، ومرت السنوات واستطعت تكوين مجموعة من الصداقات من أقرانك من أطفال الشوارع، خاصة بعد أن تم إلحاقك بأسرة مكوَّنة من أربعة من أقرانك من أطفال الشوراع، ورغم أنك كنتَ أكثرهم ذكاءً، لكن كان يجمع بينكم مصيركم السابق المشترك، وهي لم تكن عائلة بالمعنى الحقيقي، إلا أنك تمسكتَ بها لأنها وفرتْ لك الحماية وأشعرتك بالعاطفة.

لقد أصبحت رجلاً الآن، وبدأت تفهم أن المجتمع يحاسبك على أفعالك، وأهم ما تقوم به الآن كرجلٍ، وليس كطفلٍ، يجب أن تتظاهر بأنك لا تهتم بحياتك السابقة إلا أنها ـ ولا شك ـ تحتل جزءًا كبيرًا من مشاعرك، لقد علمتك الشوارع ألا تُظهِر مشاعرك.

الآن تنظر في المرآة ولا تصدق ما طرأ عليك من تغيير، حتى إنك لفترة لا تصدق قصتك السابقة التي ترويها، ولكن يجب عليك كتابتها ليستفيد منها الآخرون، لقد تغيرتْ حياتك من خلال علاقاتك، وكذلك أسمائك، كنتَ تُدعى "أوشنا" ثم "تيجانا" والآن

"زيكورا"، يجب عليك أن تخبر الجميع أن بشرتك لم تكن لامعة كما هي الآن، وأنكَ لم تكن تعرف من قبل "زيت جوز الهند"، وأن أهم ممتلكاتك كانت قلمًا متعدد الألوان وقصة لقطة زارتِ الملكة، وأن ممتلكاتك الحالية من عقارات لا تمثل لك شيئًا ولا تهمك.

الآن وأنت تجتمع مع رجال الأعمال في مجال النفط، وتفوح منهم العطور النفّاذة، وبدأت تتخيل حياة هؤلاء الأفراد وتقارنها بحياتك وتساءلت بينك وبين نفسك: هل يعلم هؤلاء الأشخاص أن الخبز القديم المبلل بندى النهار ألذّ عندك من البيض المخفوق؟!.